

١٣٥١ بعد المسيح فلو نقصنا من هذا التاريخ الثمانمائة سنة التي أشار إليها هذا المکتوب لكان مجيء سقب هذا الى بلاد الصين قبل ظهور الاسلام بسنوات وهو باطل

وقد جاء أيضا في مکتوب آخر يخص مسجد الذكري الشريفة

ماتعريبه

• شيد برج المعبد المقدس سنة تسن كون مدة حكم تي تسنج في السنة السابعة والثلاثين من كنج هي، { سنة ١٦٩٩ ميلادية } فبمقارنة هذا التاريخ بسابقه يتبين لنا ان هؤلاء المؤرخين يهرفون بما لا يعرفون

البقيه تأتي

﴿ الشهرة ومشاهير الرجال ﴾

(لمدير المجلة)

قيل في مأثور الامثال . لكل عصر دولة ورجال . وقد قدر الخالق جل وعلا ان يهيء لكل أمة رجالا منها يشتهرون باعمال يقومون بتأديتها اما لسعادتها واما لشقاؤها فان الشهرة لا تكون بالاعمال العائدة بالفلاح على الامم فقط بل ربما كانت بظهور المرء بمظهر غير حميد وتمثيل دور ينتهي بالضرر والفساد لسوء التخيير وفساد المزاعم والافكار ومن يقبل صحائف التاريخ قديما وحديثا يرى ان كثيرا من الافراد الذين شبوا على محبة الشهرة والظهور لم يحسنوا طريقها وضلوا عن سبيل الحق اما عمدا أو لغرض في النفس أو جهلا بالواقع ونفس الامر

أما حب الشهرة فليس في حد ذاته من المضار بل بالعكس هو جليل

لا يوجد الا في نفوس الافراد العالية الهمم المملوءة بالحياة والنشاط وقد يكون
السبب الشريف داعيا الى ايجاد أفسد النتائج وأضل السبل والطرائق والشواهد
على ذلك أشهر من أن تذكر

وفي حب الشهرة ما يبعث على العمل وعلو الهمة والاقدام لا كتساب
الفخار والتبويج بتيجان الظفر وفيه ما يولد في القائم به جليل الصفات التي تؤدي
الى ثقة الناس به واعتمادهم عليه وركونهم الي رأيه ومبادئه وما يتبع ذلك من
جلال الاعمال العائدة على الامم بالرفعة وسمو المقام

ومن بحث في ارتقاء العالم من أول نشأته عصرا فعصر الى هذا العصر
الزاهر بانوار المدنية يحكم لاؤل وهلة ان العالم مدين بكثير لحب الشهرة
والميل الى الظهور فكم من رجال جابوا الاقطار البعيدة واكتشفوا المجاهل
وسهلوا طرق التواصل وداسوا شوك المعالي غير متعلين واصلين -هر الليل
بيقظة النهار جبا في الظهور أمام العالم بمظهر كبار الرجال ولم يذهب عملهم
هدرا ولا كدهم هباء بل أفادوا كثيرا وساعدوا العالم في ارتقائه ووصوله الى
الدرجة التي أصبح بها الآن والاصل الباعث على ذلك لم يكن سوى حب الظهور
وهذا من الادلة على أن كثيرا من الطرق التي يقصد بها غرض
مخصوص قد تؤدي بصاحبها الى منافع أخرى من حيث يدري ولا يدري كما
كان الباحثون على اكسير الذهب الذي يحول المعادن كافة الى الذهب الواضح
يجدون في طريق بحثهم خواص كثيرة لبعض المواد والعناصر التي كانوا
يستعملونها للوصول الى غرضهم فيعرفون تركيبها وتحليلها ومن هذه المباحث
تكون علم الكيمياء الحالي الذي لاغنى لصناعة الطب عنه مع أن الغرض المقصود
بالذات لم يوصل ولن يوصل اليه

ولست اهمية كبار الرجال ومحبي الشهرة قاصرة على افادة العالم باعمالهم مباشرة بل ان اعمالهم وسيرهم تبقى على ممر الاعصار والدهور حديثا يتلى ودرسا مفيدا يبعث في نفوس الاعقاب التي تليه حبا للظهور والتشبه بالسابقين. وغير خاف أن المثال اوضح من النظرية فاذا ذكرت لناشيء مقدار الشهرة التي ينالها بجدده واجتهاده وثباته ونشاطه لا يؤثر عليه ذلك بعشر معشار ما تبعثه فيه قراءته لتاريخ حياة رجل ابتداء صغيرا فصار كبيرا لا زال اسمه يتلى وخبره يرن صداه في آذان الاجيال الخالفة .

قال (لونغفيلو) الشاعر الامريكى في قصيدة اسمها «مزممار الحياة» (١)

مامعناه نثرا

« ان لنا في تاريخ الرجال العظام درسا مفيدا يذكركنا اننا نقدر ان نجعل حياتنا مثل حياتهم حتي اذا ما فارقتنا الحياة تركنا وراءنا أثرا لا قدمنا في زمان الزمان وتلك الآثار ربما كانت سببا في ارشاد ضال في فضاء اليبداء الى طريق السعادة والهناء»

وهذا ما يدعوني للقول بان الكتابة عن تراجم مشاهير الرجال يجب أن تكون دقيقة لا يقتصر فيها على كلمات المدح والاطراء بالاعمال بل يذكرفيها أهم شيء ألا وهو كيف ابتداء وكيف قاوم المصائب ولم تثن عزمه شدايد المتاعب مع التدقيق في أطوار المترجم واخلاقه وصفاته حتى تأتي كتابتها بالفائدة المقصودة منها وذلك قل ان أراه في كتاب الشرق عن تراجم أعظم الرجال وهو ما أنبه اليه اخواني .

وكثير من الرجال الذين دوى للعالم بذكورهم وحفظ التاريخ أسماءهم

في سجل أخباره ولا يزال تذكارهم كما وصفه الشاعر الانكليزي { شيلي }
 وكابرق اللامع يخرق ظلمة العالم من المبدأ إلى الابد السرمدي ، لم يقصدوا
 محبة الظهور بل جاءتهم الظروف عفوا فرفعتهم الى اسمي مكان حظا وسعادة
 لاعمالهم واجتهادا اذ لم يكن مكتشف البخار باحثا عليه طامعا في الوقوف
 في مصاف كبار الرجال بل كان عاملا بسيطاً يغلي الماء في قدرته ولم يكن
 (شكسبير) الذي أصبح كلامه عند من يعرف عنه شيأ حجة في بلاغته وحكمته
 محبا للظهور وهذه الشهرة بل انه لم يكن في مبدأ أمره الا خادما يجرس خيول
 الاشراف الذين يأتون للتفرج على التمثيل ثم درس قليلا ومثل كثيرا وارتقي
 به الحال فوجد من نفسه باعنا على الكتابة طلبا للرزق فألف وصنف ومع
 ذلك لم يصادف في أول أمره نجاحا بل لم يقدر الا تكايز قيمة شعره الا بعد
 مائتي سنة من موته ومثله كثيرون من أرباب الاعمال العظيمة
 وكثير ممن رغبوا في الشهرة وتعبوا وراءها وكدوا ونصبوا لم ينالوا منها
 شيأ يذكرون فمنهم من لم يستوف من الصفات ما تؤهله للحصول على اسم كبير
 ومنهم من ضل سواء السبيل واختار طريقا غير ناجح ومنهم من قام في
 ظروف لا تسمح له بالحصول على مراده وبعد الجهد والعناء انزوى عن العالم بعيدا
 . ومنهم من راح فريسة الاضطهاد قبل نضج زهرته وظهور مبدئه والشواهد
 على ذلك كثيرة الامثال ومنهم من حفظت له آثار ككتابة في موضوع أو
 ماشاهها حتى اذا ظهر في العالم من يرى رأى الاول اشهر مبدؤه ونال شهرة
 بعد موته وقد فارق الدنيا أسفا على فشله . وهل ينفعه ذلك وهو في قبره ؟
 وما نفع من قد مات بالامس صاديا * اذا ما ساء اليوم طال انهارها
 قلت ان حب الشهرة في حد ذاته ، فيد للعالم والاعتقاد الخاطئة . ولكن

لا بأس في الحوض قليلاً في مبحث هل الشهرة تفيد أصحابها وتجب لهم
سعادة أو بالعكس هي تمب لهم وشقاء في هذا العالم؟ ولعلمي ان هذا المبحث
من أكبر المباحث فسأعرض بضاعتى القليلة وكفاها قلة انها لم تحنكها كثيرات
التجارب ولعلمي بذلك أحث الكتاب الأفاضل على طرق باب هذا الموضوع
فما تراحت الافكار على شيء الا وانجحت حقيقته

أجمع أغلب كتاب الشرق والغرب على أن محبة الشهرة والظهور كان
الانسان التعب والغناء وتبعته على اقتحام الأخطار التي قد يكون من ورأها
الغناء أو البلاء فكثير من الرجال ماتوا ضحية حب الرفعة والشهرة وتشير
انهمكهم التعب والكد حتى وهت قواهم ولم يتبنوا نتيجة اتعابهم وقد قال المتنبي
واذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسام

وقيل في الامثال السائرة «الظهور يقصم الظهور» وقال بعضهم «الشهرة
حذر وعيشة صاحبها كدر» وقال آخر «الكبير المقام كراكب الأسد يهابه
الناس وهو لمركبه منهم أهيب»

قال «بوالو» الشاعر الفرنسي الشهير مامعناه «سعيد من يعيش في
ركن منزوع عن العالم لا يحلم بما يسمونه في عرفهم حب الشهرة وليست
الاكدخان يتطاير في الفضاء يراه الانسان بعينه ولا يفيد في نفسه»
وقد اكثر الفضلاء في كل عصر من التذمر والشكوي من المتاعب

والمصائب وما فتوا يسأون في أيامهم . والله درأبي العلاء القائل

أولو الفضل في أوطانهم غرباء * تشد وتئأ عنهم القرباء

اذا ما خبت نار الشيبة ناءني * ولونص لي بين النجوم خباء

نعم ان الشهرة في حياة الانسان ربما عادت عليه بأسباب السعادة الا

ان صاحبها يجب ان يكون كثير الاحتراس والحذر خوفا على سمعته ومقامه ولا يخفى ما في ذلك من الضيق والآلام. وماذا تكون لذة الشهرة وفيها ضيق للمرء وحبس لارادته ومآربه النفسانية مثلاً؟

ومما بقي في ذاكرتي من قصيدة لشاعر انكليزي مامعناه
«ماذا ينفع تاج الشهرة الالامع البراق فوق جبين مقطب جمعته أيدي الأيام
بمتاعها وحذرهما والحرص عليها،

ومن المعلوم أن شهرة كثير من مشاهير الرجال لم تظهر الا بعد موتهم حيث تقام لهم التماثيل ويحفظ لهم اسمى مقام في النفوس ولكن هل يفيدهم ذلك بعد فناء العيش وانقضاء أيامه التي عاشوها متمسكين على سلم الصمود مخفوفين بالمخاطر والخاوف والمكاره. قال أبو العلاء مخاطباً للدهر

أري ذوى الفضل وأضدادهم * يجمعهم سيلك في مده

ولا يبالي الميت في قبره * بدمه شيع أم حمده

والواحد المفرد في قبره * كالحاشد المكثرون حشده

وفي قصيدة طويلة كلها حكم اسمها {غزور المآرب الانسانية} (١)

للدكتور جونسن الشاعر الانكليزي مامعناه ثرا

دحتى اذا ما سجل اسمه في جداول المدرسة (٢) تراه في الحال وهو غض

الشباب مملوء بالحماس يهجر راحته وهناءه ويتمسك بأذيال حب الشهرة والظهور

فيمتلئ فؤاده شغفا وقلبه ناراً متقدة ملتهبة بحب الشهرة التي تصل اليه عدواها

١. Vanities of Human Wishes by Dr. Johnson

(٢) يتكلم عن دخول الطالب مدرسة اكسفورد الجلاء حيث يخرج منها أعظم

مشاهير رجال الانكليز

من رداء الخطابة (٣). وبعد ذلك تنحصر أوقاته واتباعه في قاعة بودلي، (٤) وكلما مرت تحت قنطرة «باكون»، يظنها تهتز لتسقط بعد مروره (٥). فهل هذه كل آمالك؟ استمر في طريقك أيها الناشئ المولع بالشهرة ولتسربك الفضيلة الى عرش الحقيقة !

ولكن هب انك بلغت ما لم يبلغه سواك حتى سلمت لك كنوز العلوم مفاتيحها وقادتك الحقيقية بنورها الساطع الواضح وصبت على الشك المريب المظلم نورها الباهر الزاهر. وهب انك لم تخدع بالشفقة عليك والاطراء بك ولم تثن عزمك المصعب. وهب أيضا انك لم تركز الى الاهمال مرة ولم يسلب قوادك فأن الجمال. فطاشت سهامه المسددة بالنبال. وهب بعد ذلك ان آلام الامراض لم تعرف لك مكانا ولم تزرك الاحزان يوما ما. فلا تظن بعد ذلك كله ان العيش خال من الهموم والاكدار. اليك غني قليلا وسرح طرفك في ماضي الايام وسالف الدهور وارك درسك ساعة تتعلم فيها علوم الحكمة والاعتبار بغيرك وانظر ما ينتظر طالب العلم على باب مدرسته من متاعب الحياة الدنيا ولو كان شهيرا عظيما هنالك ينتظره الحسد والتعب والحاجة والفاقة

(٣) من عادات الطلبة في مدرسة اكسفورد انهم يعقدون اجتماعات للخطابة في اوقات معينة يلبس فيها الطلبة رداء اسود مثل رداء المحامين الذي يسمونه «روب»
(٤) يراد بقاعة بودلي - محل المكتبة المدرسية باكسفورد وسميت بقاعة بودلي لان اول من أسسها كان اسمه بودلي

(٥) كان يوجد في مدرسة اكسفورد قنطرة منقوش عليه كثير من تأليف باكون الفيلسوف وكان من المعتادات السائدة ان هذه القنطرة تقع بعد مرور رجل تحتها يظهر له في الوجود اسم وشهرة يفوقان ما لب باكون من الشهرة الزائدة ويشير بذلك الى أن الغالب المولع بالشهرة يظن في نفسه انه سيصل الى أكثر ما وصل اليه باكون. وقد هدمت هذه القنطرة

وبعد ذلك القبر المفتوح . وانظر الى الامم كيف تراها بطيئة الادراك قليلة
العدل لدرجة انها لا تعظم مقام رجل كبير عندها الا بعد ان يصير جسمه ترابا .
وان غرتك الاحلام بعد ذلك فاعتبر بحياة (ليديات) (٦٠) وما تم (لغاليليو) (٧٠) هـ .
ومثل ذلك قول الفيلسوف العربي أبي العلاء المعري
تكرم أوصال الفتى بعد موته * وهن اذا طال الزمان هباء
وأرواحنا كالراح ان طال حيسها * فلا بد يوما ان يكون سباء
ولا ينكر احد ان في الشهرة لذة معنوية للانسان فما أعجب المرء بنفسه
حينما يجلس في غرفته ويركن ظهره الي وسادته ويعلم ان الوفا من الناس تقراً
كتاباه او يتباحث في افكاره أو ان في اطراف القري وبعيد الاقطار
أمم اخرى تلهج بذكره وتردد اسمه ولا غرابة بعد ذلك ان يكون حب
الشهرة امر اغريزيا في النفوس فانك لتري الكاتب والشاعر والفيلسوف الذي

(٦) ليديات كان من علماء أوروبا في القرن السابع عشر واضطهده كثير من الحكام
وبعد سنين عاشها في كد وعناء وشقاء وبلاء تخلص من آلام الحياة بالموت في سنة ١٦٤٦
ميلادية

(٧) غاليليو هو الفلكي المشهور الذي اخترع النظارات المعظمة وخصوصا النظارة
المسماة باسمه وقد دعاه رجال الدين وطلبوا منه ان يتنازل عن معتقداته فأبت نفسه فأودع
السجن حتى وهت قواه وتلفت عيناه وكابد أنواع البلاء ومن قوله وهو في السجن « انني
في ظلامي أغيب بفكرى وأتخيل مرة هذا الجزء الطبيعي وذاك الآخر ومهما حاولت أن
أرجم نفسي وعقلي فلا أقدر أبداً لأنشغال بالي بالنجوم والافلاك وزيادة آلامي بالتعب
والعناء الدائمين حتى حرمت لذة انعام وعشت في عالم كله أحلام في أحلام »
وقد زاره ميلتون الشاعر الانكليزي وكتب عنه ما يفتت الفؤاد وبذيبه حسرة على
ضباع مثل غاليليو

ومات غاليليو مقهورا من الحزن والالتم بحمي فتكت به فتكا ذريعا في سنة ١٦٤٢

ميلادية هـ